Arab Journal of Sciences and Research Publishing
Volume (6), Issue (2): 30 June 2020
P: 78 - 93
ISSN: 2518- 5780
مجلة العربية للعلوم ونشـر الأبحـاث
المجلد (6)، العدد (2): 30 يونيو 2020 م
ص: 78 - 93

Duality Linguistic and Its Impact on Arabic Language

Tamam Hamad Almnaizl
Faculty of Arts and Sciences || Al- Jouf University || KSA

Abstract: The research dealt with six axes. In the first topic, the study dealt with the definition of the language in general at the linguists of the Arabs and the West, and concluded that the language is a means of communication through which all people express their purposes.

In the second axis, the research dealt with the concept of linguistic and bilateral duality in many researchers, and concluded that duplication and dualism is one thing that occurs between one language, such as the phonetic and the colloquial, or between two different languages.

In the third axis, the research dealt with the emergence of duplication in Arabic, and that it existed since the pre- Islamic era, but it was not as serious as it is now. In the fourth axis, he talked about the manifestations of duplication and its causes, and that there are two manifestations of duplication: the first is the writing, the duality took two forms of circulation: drawing and writing for the Pharaonic, The second appearance is the language of Almchafha, which is the language of conversations, and common in public places, and were not written, and talked about the reasons that led to the existence of this phenomenon. In the fifth axis, the study dealt with the problem of duplication and the fact that it is a problem of serious problems that affect the classical language, fear of the colloquial place and the disappearance of Mandarin, and other things that confirm the seriousness and prove to be a problem. In the last axis, the research dealt with the proposed solutions and possible solutions to the problem of duplication, there were three solutions: the first recognition of the reality of language and the delivery of duplication, and the adoption of the traditional only, or the vernacular only to unite on one, and the third approximation between them.

Keywords: Language duality, Arabic Language, spoken, official.

الازدواجيّة اللّغويّة وأثرها على اللّغة العربيّة

تمام حمد المنيزل
كلية العلوم والآداب || جامعة الجوف ||المملكة العربية السعودية

المُلخّص: يُناقش هذا البحث مسألة (الازدواجيّة) في اللّغة العربيّة، ويأتي من مُنطلق أنّ الازدواجيّة ظاهرة لُغوية قديمة حديثة، يبقى البحث فيها قائما، وقابلا للحوار والمُناقشة، وطرح الحلول التي تتماشى وطبيعة كل لُغة، وكذلك طبيعة القوم النّاطقين بها.

وقد تناولت في هذا البحث الازدواجيّة اللّغويّة وأثرها على اللّغة العربيّة: لأسباب يأتي ذكرها بين ثنايا البحث الذي ناقشتُ فيه إشكاليته- أي إشكالية ظاهرة الازدواجية- ، وأتيت على ذكر خصوصية اللغة العربية في هذه الإشكالية، ثم أتيت على بيان أهمية البحث، الذي يُناقش ظاهرة باقية مع بقاء اللسان البشري.

وبعد ذلك عرضتُ عددا من الدّراسات السّابقة، التي ناقشت مسألة الازدواجيّة، وأبديتُ رأيي في بعض المسائل التي طرحتُها في هذه الدّراسة.

الكلمات المفتاحية: الازدواجيّة اللّغويّة، اللّغة العربيّة، الفُصحى، العاميّة.

المُقدّمة

تعدّ الازدواجيّة إشكاليّة تحدث في اللّغات جميعها؛ نتيجة التّغيّرات الصّوتيّة والدّلاليّة في الكلمات، ثم بوصف (الازدواجيّة) إشكاليّة ذات خصوصيّة في اللّغة العربيّة؛ نتيجة ما واجهته اللّغة العربيّة من مُحاولات استشراقيّة واستعماريّة في مطلع القرن العشرين لمحو هويتها الأصيلة، واستبدالها بالعاميّة، بعد أن قدّم أصحاب هذه الدّعوات حججهم ومُسوّغاتهم التي ووجهت بالرّفض والتّفنيد.

وفي هذا البحث سأتحدّث عن الازدواجيّة التي تجمع بين مُستويين مُختلفين، ببيان تعريف الازدواجيّة ومظاهرها وأسبابها، مبينًا أنها ظاهرة خطيرة إذا ما طغت العاميّة على الفُصحى، خاصة في وسائل الإعلام التي بدأ بعضها بتغليب العاميّة.

وقد ذكر البحث حلولا قدّمتها الدّراسات السّابقة لهذه الإشكالية، واقترح البحث حلولا تتمثّل في ضرورة تفعيل المناهج الدّراسيّة: المدرسيّة والجامعيّة للتّوعية بهذه المسألة، وكذلك بضرورة تفعيل القرار السّياسي للحدّ من وسائل كثيرة تُحاول تغليب العاميّة على الفُصحى.

ولذلك انقسم هذا البحث إلى سبعة محاور رئيسة، تناول المحور الأول: تعريف اللّغة: لُغة واصطلاحا. وتناول المحور الثاني: تعريف الازدواجية، لُغة واصطلاحا. وفي المحور الثالث: قمتُ ببيان الفرق بين الازدواجيّة والثّنائيّة، وأشرتُ إلى اختلاف الدّارسين في هذين المُصطلحين. أما رابع المحاور: فقد تناول نشأة الازدواجيّة في اللّغة العربيّة، حيث أشار الدّارسون إلى النّاحية التاريخيّة لهذه المسألة، وأشاروا إلى أنها كانت تتولّد مع بداية كل لُغة. وجاء المحور الخامس بعنوان: مظاهر الازدواجيّة اللّغويّة وأسبابها، حيث تحدّثت عن أشكال الازدواجيّة، مع بيان خصائص كل مظهر منها. وفي المحور السادس: تمت مناقشة الازدواجيّة بوصفها مشكلة أصابت اللّغة العربيّة، وبناء العربيّة، لأنّ اللّغة العربيّة تتوزّع على مساحات واسعة من الأرض، وهذا مما سهل تفاقم هذه المُشكلة. وجاء المحور السابع: ليقدم اقتراحات الباحثة لحل هذه الإشكالية، وفي الخاتمة لخصتُ أهمّ النتائج والتّوصيات التي توصلت إليها.

إشكالية البحث

تتحدد مشكلة البحث في السؤال الآتي: كيف أثّرت الازدواجيّة اللغويّة على اللغة العربيّة؟ وفي حال وجود فجوة بين اللغتين: الأم والمحكية ما هو سبب وجودها؟

أهداف البحث

يهدف البحث إلى الآتي:

1. بيان كيف أثّرت الازدواجيّة اللغويّة على اللغة العربيّة.
2. توضيح سبب وجودها؛ وذلك في حال وجود فجوة بين اللغتين: الأم والمحكية.

أهمية البحث

تنبع أهمية هذا البحث من كونه يناقش مسألة قديمة جديدة، تتأثر بالمعطيات الاجتماعية والاختلافات البيئية المحيطة باللغة العربية، ورغم كثرة ما يقف بوجه العربية من عقبات؛ إلا أنها تبقى قادرة على المواجهة، نظرا لما تتمتع به من قدرة على التوليد والاشتقاق، وعدا عن حضورها التاريخي وتراثها الثّريّ، وقبل كل هذا تبقى هي لغة القرآن الذي يعد الحجة الأولى في الاحتجاج اللغوي والنحوي والبلاغي، ليصار إلى أن مشكلة الازدواجية وغيرها من المشكلات التي تواجه اللغة العربية لا تنبع من داخل اللغة ذاتها، وإنما تتأتى من ظروف وأسباب محيطة باللغة، ومنها أبناء اللغة أنفسهم.

ومن هنا فإن سبب اختيار البحث هو أن (الازدواجية) مسألة متجددة، قابلة للمناقشة ضمن معطيات مختلفة ومتجددة أيضًا، ومنها على سبيل المثال مسألة النزوح واللجوء التي كانت إبان الأحداث التي جرت في عدد من الدول العربية بداية العقد الثاني من هذا القرن، حيث عملت هذه الأحداث على اختلاط عدد من الألسنة منها ما كان قريباً من الفصيحة، ومنها ما كان غير ذلك، ليعمل هذا الاختلاط اللهجي تغييرا في بعض اللهجات قد نلحظها في الأعوام القليلة القادمة، وما سيعزز هذا حدوث الكثير من حالات الزواج التي رافقت رحلات النزوح واللجوء هذه، وبالتالي فإن العامية منذ زمن طويل هي عاميات كثيرة، فما بالنا اليوم وقد تعددت الأقطار، وترسخت الحدود، وكثرت الهجرات، حتى صار يصعب على المصري أن يفهم اليماني، ويصعب على الشامي أن يفهم المغاربي، مما حدا ببعض منتجي البرامج التلفازية بترجمة ما يقوله الجزائري مثلاً إلى الفصحى ليستطيع العربي العراقي فهم العربي الجزائري، ومن هنا تظهر الفصحى حلاً أصيلاً، وعاملاً مشتركًا بين أبناء العالم العربي مهما تباعدت الأقطار.

الدراسات السابقة

كثرت الدراسات حول مسألة (الازدواجية اللغوية)، ولكن كما سبق وأشرنا، فإن في الازدواجية مساحات كبيرة للمناقشة والتحليل وطرح الآراء والحلول، وجوانب عدّة لدراستها، ومن هذه الدراسات:

- بحث: الازدواجية اللغوية في اللغة العربية، لعباس المصري وعماد أبو حسن، مجلة المجمع، العد الثامن، 2014م: ناقشت هذه الدراسة مسألة الازدواجية في اللغة العربية، والتي تتمثل في طغيان اللهجات العامية على الفصيحة، وخاصة في الخطاب الشفهي، وقد بينت الدراسة حدود الازدواجية وبداياتها ومظاهرها من جانب، وصور المشكلة من جهة أخرى، وقد قام الباحثان بطرح حلول واقعية وممكنة، وذلك بتغليب الفصحى على العامية في المحاورات الشفهية، وذلك بتطوير نمط (اللغة الوسطى)، وهو النمط الذي تدفع باتجاهه وتتبناه أغلب وسائل الإعلام الحديثة. وقد اقترحت الدراسة إيجاد اللغة الوسطى التي تمثلها لغة الصحافة والإعلام للتقريب بين العامية والفصحى، ثم تغليب الفصحى على الألسن، ولكن هذه الدراسة لم تفصح عن الآلية التي يمكن بها تطبيق هذا الاقتراح الذي يحتاج إلى تضافر جهود رسمية وشعبية وفق برامج تعمل على تصحيح العامية شيئًا فشيئًا وعبر أجيال عدة، فكما أن الازدواجية تتغلغل ببطء في حياة اللغة والناس، فإن التصدي لها يكون بطيئا وعلى مراحل أيضا.
- بحث: الازدواجية اللّغوية في اللغة العربية، لفوزية طيب عمارة، مجلة: أقلام الهند الإلكترونية، العدد الثالث، 2018م: تتحدث عن الازدواجية اللغوية بصفتها مشكلة حلت بالمجتمعات العربية التي يجتمع فيها مستويين من اللغة الأول فصيح والآخر عامي، حيث أصبحت اللهجة تسير إلى جنب الفصحى وتزاحمها في مختلف القطعات وخاصة قطاع التعليم، وتناول البحث خصائص الازدواجية: الوظيفة، والمنزلة، والتراث الأدبي، والاكتساب، والثبات، والقواعد النحوية، وتحدثت عن مشكلات الازدواجية على مستوى التعليم والإعلام.
- بحث: إشكالية الازدواجية اللغوية في اللسان العربي، لنادر سراج، مجلة: الاجتهاد، العدد: العشرون، 1993م: تعزو هذه الدراسة الازدواجية اللغوية إلى وجود ثقافتين في المجتمع، فوجود ثقافتين يعني وجود مستويين لغويين، فهناك خطاب الاختصاص والثقافة والتنظير والتجريد، وهناك خطاب العائلة والأشياء المحسوسة والاستهلاك. وقد عرّجت الدراسة على تاريخ الازدواجية، ورأت أن القصاص الدينيين في القرنين الأول والثاني الهجريين لجئوا إلى لغة مبسطة لمخاطبة عامة الناس في أقاصيصهم، وترى الدراسة أن هناك نزاعًا في الازدواجية العربية، فكما أن هناك دعاة للفصحى؛ فإن هناك دعاة للعامية، مع أن العاميات بشكل عام تنبثق

عن أصلها الفصيح غير أن العربية الفصحى لها خصوصيتها كونها لغة القرآن، وهي أداة لفهمه، وأداة للدعوة إلى مبادئ الإسلام.

- بحث: العربية الفصحى بين الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية، لإبراهيم كايد محمود، المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل، المجلد الثالث، العدد الأول، 2002م: تناولت هذه الدراسة اللغة الفصيحة، وأثر الازدواجية والثنائية فيها، حيث ناقش اختلاف الدارسين وخلافهم حول التفريق بين مصطلحي الازدواجية والثنائية، ثم بين أخطار الازدواجية على الفصحى، وكذلك الآثار السلبية لها في اللغة والمجتمع والفرد، وذلك بوجود مستويات لغوية بين طبقات المجتمع الواحد، فتكون اللغة معيارًا من معايير التفرقة والطبقية بدلاً من أن تكون واصلاً بين أفراد المجتمع فتكون عنوانًا من عناوين الصراع الطبقي المجتمعي، عدا عن أن هذا الأمر يمتد إلى الفصحى، فتعمل العامية على أن تترسخ أكثر وأكثر على حساب الفصحى.
- رسالة ماجستير: الازدواجية اللغوية بين الفصحى والعامية، لصفاء محمد عطية حسن، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، 2014م: وتبحث في مشكلة الازدواجية بين الفصحى والعامية في اللغة العربية، وأثر الازدواجية في الفصحى، وتحاول بيان دور العربية الفصحى في إنقاذ اللغة من خطر العامية.

اللافتُ في هذه الدراسات –وهي ليست الوحيدة في موضوعها–إجماعها على أن الازدواجية إشكالية، وهي إشكالية ليست حديثة العهد، وليست مقتصرة على اللغة العربية وحدها، وإن كان للعربية خصوصيتها في هذه المسألة، حيث سعت كثير من الدعوات: الخارجية والداخلية لإحلال العامية محل الفصحى، عدا عن الظروف العادية التي تأتي بالازدواجية إلى جميع اللغات.

منهجيّة الدّراسة

اعتمدت الدّراسة على المنهج التحليلي الوصفي في بيان قضية الازدواجية.

المحور الأول- تعريف اللغة:

عرفها ابن جنيّ بأنّها: "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم" (ابن جني، 1957، 1/ 35)، ووصفها ابن خلدون بقوله: "اعلم أنّ اللغات كلّها ملكات شبيهة بالصناعة، إذ هي ملكات في اللسان للتعبير عن المعاني، وجودتها وقصورها بحسب تمام الملكة أو نقصها، وليس ذلك بالنظر إلى المفردات، وإنما هو بالنظر إلى التراكيب" (ابن خلدون، 1986: 136).

وعرفها ابن حزم بأنّها: "ألفاظ يعبر بها عن المسميات، وعن المعاني المراد افهامها، ولكل أمة لغتهم" (الأفغاني، 1969: 62).

وعرفها (مسابير) بأنّها: "طريقة إنسانية بحتة؛ لتوصيل الأفكار والانفعالات، والرغبات بواسطة الرموز المنتجة إنتاجًا إراديًا" (مراد، 1986: 826).

ويعرفها (رونيز) بأنّها: "نظام من الرموز يتأسس معظمها على العرف البحت أو الاعتباطي" (رونيز، 1997: 109).

وعرفها تشومسكي بأنها: "مجموعة غير محدودة من الجمل (لا متناهية) لكل جملة في تلك المجموعة محدودة في طولها، ومركبة من مجموعة محدودة من العناصر، وهي مبنية على أساس نظام من القوانين يقرّر تأويل جمل اللغة الكثيرة بغير حدود" (تشومسكي، 1989: 45).

وعند فرديناند دي سوسير، هي: "نظام متناسق من العلامات المتمايزة فيما بينها، وهي موجودة في أذهان أبناء الجماعة جميعهم، ويكتسبها الفرد اعتباطًا، وتتجلى من خلال النشاط العقلي للفرد المتكلم" (دي سوسر، 2001: 84).

فاللغة وسيلة التّواصل التي يعبّر بها كل فرد عن حاجاته ورغباته، في المجتمع الواحد ولكل مجتمع لغة تواصل يتفاهمون عن طريقها.

المحور الثاني- تعريف الازدواجية اللغوية:

ورد في لسان العرب (ابن منظور، 1990: 292 (مادة زوج)): "الزوج: خلاف الفرد، يقال زوج أو الفرد، وكان الحسن يقول في قوله عز وجل: "ومن كل شيء خلقنا زوجين"، قال: السماء زوج، والنهار زوج ويجمع الزوج أزواجا أزاويج".

والأصل في الزوج الصنف والنوع من كل شيء، وكل شيء مقترنين، شكلين كانا أو نقيضين فهما زوجان، وكل واحد منهما زوج.

وقال تعالى في محكم كتابه: «وأَنبْتَنا فيها من كُلِّ زوجٍ بهِيجٍ» [ق: 7]، وذكر ابن سيده الزوج: الفرد له قرين والزوج: اثنان وقال يدل على الزوجين في كلام العرب اثنان وقوله عز وجل: « وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى» [النجم: 45].

إنّ كلمة ازدواجية ترجمة للمُصطلح الإنجليزي (Digilossia)، يُعتقد أنّ أول من تحدث عن هذه الظاهرة كان اللغوي الألماني (كارل كرمباخر) في كتاب له صدر عام 1902م، تطرق فيه إلى طبيعة هذه الظاهرة وأصولها وتطورها، وأشار بشكل خاص إلى اللغتين اليونانية والعربية، وتوصل (كارل كرمباخر) إلى نتائج واقترح على اليونانيين ترك ازدواجيتهم الشرقية، واللحاق بالعالم الغربي، بتبني العامية لغة قومية، وكذلك دعا العرب إلى ترك فصيح لسانهم، وتبني إحدى اللهجات، مفضلًا المصرية لغة قومية (الزغول، 1985: 48).

وفيما يتعلق بطبيعة هذه الظاهرة في اللغتين اليونانية والعربية يشير (فيرجسون) إلى أن اللغة العربية مثل اليونانية لا تستخدم الخط الروماني أو اللاتيني وتظهر أكثر من مشكلة في استخدام الكتابة الأصلية في حالتي اليونانية والعربية. وبالنسبة لليونانية يمثل التنوع في الهجاء عائقا أساسيا، أما في العربية، فالرموز لا تعبر عن أصواتها، ويشير هنا بالذات الى اللهجة المصرية، حيث إن العيب الأساسي في استخدام الخط العربي يتمثل في غياب الرموز الدالة على الأصوات اللينة فيها، وإن وجدت بعض الرموز فإنها تظل غير واضحة أو ملتبسة (فيرجسون، 2007: 16).

ويشير (فيرجسون) إلى نمطين في اللغة اليونانية والعربية وهما النمط العالي والنمط المنخفض، ففي العربية مثلا يستخدم النمط العالي كلمة (رأى)، ويستخدم النمط المنخفض كلمة (شاف) للتعبير عن نفس المعنى. وفي اليونانية الكلمة العالية للنبيذ (inos) والكلمة المنخفضة هي (krasi). وكذلك في استخدام الأسماء والأفعال والأدوات، كما في المثال التالي (فيرجسون، 2007: 30):

من أمثلتها في اليونانية:

النمط العالي	النمط المنخفض	المعنى
Ikos	spit	بيت
Idhor	nero	ماء
Eteke	eyenise	يلد
Ala	Ma	لكن

ومن أمثلتها بالعربية:

النمط العالي	النمط المنخفض	المعنى
حذاء	جزمة	ما يرتديه الإنسان للمشي
أنف	مناخير	حاسّة الشم
ذهب	راح	غادر
نعم	إيوه	للإجابة بالقبول
الآن	دلوقتي	الدّلالة على الزّمن

ويرى الفرنسي (وليم مارسيه) أن الازدواجية: هي التنافس بين لغة أدبية مكتوبة، ولغة عامية شائعة للحديث (فيرجسون، 2007: 48).

وفي عام 1959م، قدّم اللغوي الأمريكي (شارلز ميرجسون) مقالة تُعدّ أشهر ما كتب عن الموضوع، إذ بحث أربع حالات لغوية، تتميز بهذه الظاهرة، وهي العربية، واليونانية، والألمانية، والسويسرية (الزغول، 1985: 50). حيث أشار إلى أن الازدواجية ليست مرحلة يجب أن تظهر بالضرورة في فترة من فترات التطور اللغوي، أي في مرحلة التقعيد اللغوي ولا تظهر في غيرها، بل إن الازدواجية اللغوية قد تظهر لأسباب عدة وفي سياقات مختلفة.

وعرفها فيرجسون بأنها: "حالة لغوية ثابتة نسبيًّا، يوجد فيها فضلًا عن اللهجات الأساسية – التي ربما تضم نمطًا، أو أنماطًا مختلفة باختلاف الأقاليم – نمط آخر في اللغة مختلف، عالي التصنيف أكثر تعقيدًا من الناحية النحوية، يتصف بأنه فوقي المكانة، وهو آلة لكمية كبيرة من الأدب المكتوب لعصور خلت، أو لجماعة سالفة، ويتعلم الناس هذا النمط بطرق التعليم الرسمية، لكنه لا يستعمل من قبل أي قطاع من قطاعات الجماعة المحلية للمخاطبة أو المحادثة العادية" (فيرجسون، 2007: 51).

فالازدواجية إذن تنوع لهجي ومنافسة بين العامية والفصحى.

المحور الثالث- بين الازدواجية والثنائية:

شهد مصطلح الازدواجية خلطًا، وتداخلًا بينه وبين مصطلح الثنائية اللغوية، فبعض اللغويين يطلقون تسمية (الازدواجية) ويقصدون بها وجود مستويين لغويين مختلفين، مثل الفرنسية والعربية، ومجموعة أخرى تذكر الثنائية، ويقصدون بها وجود فرق بين مستويين مختلفين، في بلد واحد، مثل: الفصحى والعامية، ومجموعة أخرى تذكر الثنائية اللغوية، وتقصد بها: الفرق الموجود بين مستويين مختلفين، مثل: العربية والفرنسية، ونذكر على سبيل المثال، محمد علي الخولي الذي ذكر الثنائية وقصد بها الازدواجية (الخولي، 2002: 17).

وعرفها التونجي والأسمر في المعجم المفصل في علوم اللغة، بأنّها: "حالة وجود لغتين مختلفتين عند شعب ما، كتكلم يهود أمريكيا اللغتين: العبرية والإنجليزية" (التونجي، والأسمر، 2001: 18).

ويقول كمال بشر: "لا تخلو لغات كثيرة من ازدواجية لغوية في التوظيف في الحياة العامة والخاصة،

وقد ذكر محمد الخولي أمثلة في كتابه " الازدواجية"، وقال: قد عدّلت فيه حتى لا يوحي بأنّ اللغة ذاتها مزدوجة، كما عدّلت في كلمة الثنائية اللغوية؛ لأن لهذا المصطلح مدلولا خاصا مختلفا، وملت إلى مصطلح " الثنلغوية" المنحوت من كلمتين وحسبته أسهل وأقصر من الثنائية اللغوية، ولكنني خشيت أن يكون غير مفهوم حتّى لا يوحي بأنّ اللغة في حد ذاتها ثنائية، كما فضلت كلمة الثنائية اللغوية؛ لأنّه أقصر وأسهل، حيث يشير المصطلح الى ما يلي (القاموس، 2004: 458- 663):

1. أن يتكلم الناس في مجتمع ما لغتين.
2. أن يعرف الفرد لغتين.

3. أن يتقن الفرد لغتين.
4. أن يستعمل الفرد لغتين.

ومن الأمثلة عل ذلك طالب الجامعة أو أستاذ الجامعة الذي يستخدم اللغة التي تعلمها أو ما تسمى باللغة الثانية في الدراسة أو التدريس داخل الصف، ولكن إذا خرج من الصف عاد إلى استعمال اللغة الأولى (الخولي، 2002: 28).

ويرى (فيشمن) أنّ هذين المصطلحين (الثنائية اللغوية والازدواجية اللغوية) ليسا وجهين لعملة واحدة، فيقول: وثنائية اللغة صفة مميزة للتصرف اللغوي على المستوى الفردي، أمّا الازدواجية فإنّها خاصية من خصائص التنظيم اللغوي على مستوى المجتمع، فثنائية اللغة هي سمة الاستخدام اللغوي، من قبل الأفراد، بينما الازدواجية: هي وصف لتخصيص المجتمع لوظائف معينة للغات أو لهجات مختلفة، فالفرق بينهما من ناحية الاستخدام، فالنمط اللغوي الذي يستخدمه الفرد وهو الذي يطلق عليه اسم الثنائية، أما الازدواجية فهي صفة خاصة تطلق على الوظائف، التي فرضها المجتمع على استخدام مستويات لغوية (موسى، 1988: 83).

وترى الباحثة أن الازدواجية تتشابه كثيرا مع الثنائية غير أنّه يوجد فرق بينهما؛ فالازدواجية: يعني وجود لغة ولهجة في مجتمع واحد، في حين تدلّ الثنائية على وجود لغتين معا.

المحور الرابع: نشأة الازدواجية في اللغة العربية:

أولا- نشأة مصطلح الازدواجيّة:

يعدّ الفرنسي (وليم مارسين) هو الذي وضع مصطلح الازدواجية بالفرنسية سنة 1930م، وعرّفه بأنّه: الصراع بين لغة أدبية مكتوبة، ولغة أخرى شائعة.

وظل هذا المصطلح محدود الانتشار حتى جاء الأمريكي (شارل)، فجعله ذائعًا ومتداولًا، حين نقله إلى الإنجليزية، وعرّفه: بأنّه الصراع بين نوعين للسان واحد (القعود، 1997: 219) أحدهما: عالي التصنيف، لكنه غير شائع، والآخر: دون ذلك، لكنه عام وشائع، ومنذ ذلك أصبحت الازدواجية جزءًا لا يتجزأ من الدراسة اللغوية، وفرعًا مهمًّا من فروع علم الاجتماع اللغوي، ويظهر المصطلح بشكلين مختلفين من الاستخدام اللغوي للسان نفسه، ويبدو الأول معقدًا ومحدود الاستخدام، وقد أطلق على الأول اللسان الفصيح، والآخر اللسان العامي (المصري، وأبو حسن، 2014: 46).

وعليه يمكن القول: إنّ تحديد مفهوم الازدواجية اللغوية ينبني على محورين: أحدهما يمثل صراعًا نمطيًا بين نمطين، أو تنوعين أو شكلين لغويين ينتميان إلى اللغة نفسها، والثاني يمثل وضعًا مختلفًا لهذين النمطين أو التنوعين أو الشكلين من حيث الوظيفة، والمكانة، ولكل نمط أو تنوع أو شكل مظهر وربما مظاهر متعددة ومتنوعة (المصري، وأبو حسن، 2014: 47).

والازدواجية بوصفها اصطلاحا تظل في معناها أكبر من مصطلحها، وذلك لما سبق ذكره من تعدد العاميات، وامتزاج العامي بالدخيل، بمعنى امتزاج الازدواجي بالثنائي لتتشكل لهجة جديدة، وربما تكون دول المغرب العربي مثالا حيا على هذا القول، فهي دول ناطقة بالعربية رسميا، والعربية العامية أقوى بين الناس من الفصحى، والاستعمار ترك من اللغة الفرنسية الأثر الكبير في ألسنة الناس، دون أن نغفل أثر الشعوب الإفريقية المجاورة، وخاصة لغة الأمازيغ.

ثانيا: نشأة فكرة الازدواجية

إذا أمعنا النظر في تاريخ الازدواجية في اللغة العربية، نجد أن كثيرا من الباحثين يشير إلى امتدادها إلى العصر الجاهلي (سعيد، 1964). ولكن في الواقع لم يكن الوضع اللغوي في العصر الجاهلي يصل إلى حد الازدواجية الملبسة، كما هو الحال اليوم؛ لأن نمطي اللغة الذين استخدمهما الجاهليون معربان: "فقد كانوا يستخدمون في لقاءاتهم التي يتواصلون بها في مواسم خاصة معروفة كمواسم الحج، والتجارة، وأسواق عكاظ، وذي الحجة، وذي المجاز، لغة راقية، يقولون بها الشعر، ويخطبون، وينافر بعضهم بعضاً، ويستعملونها ليتفاهموا عن طريقها، حتى في أحاديثهم العادية أثناء تلك اللقاءات، فإذا رجعوا إلى قبائلهم استعملوا نمطاً أقل رقياً، وأدنى مرتبة، مع كون النمطين معربين" (ستيتية، 1987: 122). وبشكل عام كان أكثر المجتمع العربي في العصر الجاهلي يتعلم اللغة اكتساباً، حيث إن الإسلام لم يلزمه بذلك حتى يسّر عليه في القراءة، فإذا كان ينتقل انتقالاً جزئياً محدوداً بالإدراك السليقي المباشر لمقتضيات مواقف التواصل، وما تؤدي إليه من لمح الفروق، فإنما يتوسع ولا يتقوقع، ويمتد ولا يرتد، وليس ذلك منه تردّدًا بين مستويين لغويين يفترقان افتراق العامية والفصحى، ويتوزعان وظائف الاستعمال كما في هذه الأيام (الموسى، 1987: 86) إلا أن أصول الازدواجية تمثلت في اختلاط العرب بالممالك المفتوحة، والخروج إلى الأمصار، إذ إن العرب الفاتحين الذين تناوشوا الممالك المفتوحة، تناوشتهم هي الأخرى بتأثير لهجي، لم يكن لهم محيص عنه، ويمثل انحسار الإعراب أقوى العوامل في هذا الصدع الذي أفضى إلى الازدواجية، فهو الذي أصبح فارقاً أصولياً حاسماً بين الفصحى والعامية (الموسى، 1987: 88).

ويمكن الحديث عن نشأة الازدواجية من زاويتين: الأولى تنظر إلى الازدواجية بوصفها ظاهرة لغوية، رافقت اللغة نفسها منذ النشأة الأولى لها، والثانية تنظر إليها بوصفها اصطلاحًا لغويًّا، أو مفهومًا بدأ يظهر في دراسات اللغويين العرب وغير العرب، منذ بدء هذه الدراسات، لكنه لم يتخذ شكلًا علميًا إلا من عهد قريب، حيث كتب (فيرجسون) مقالته الشهيرة عن الازدواجية اللغوية عام 1959م، فكان له السبق في استخدامه هذا المصطلح، ثم ما لبث أن انتشر وشاع لدى علماء اللسانيات الاجتماعية المصري، وأبو حسن، 2014: 44). فقد أشار في مقالته إلى أن السنوات الأخيرة شهدت تجدد اهتمام الباحثين بدراسة الأنماط اللغوية، وهنا تظهر الازدواجية اللغوية مصطلحا مستوحى من الكلمة الفرنسية "diglossie"، حيث استخدم هذا المصطلح للتدليل على نفس الظاهرة، إذ افتقدت الإنجليزية لمصطلح يشير إلى هذه الظاهرة اللغوية، بينما تستخدم اللغات الأوروبية الأخرى كلمة bilingualism، وهنا تجدر الإشارة إلى أن الازدواجية اللغوية ليست مرحلة تظهر بالضرورة في فترة معينة من فترات التطور اللغوي، أي في مرحلة التقعيد اللغوي ولا تظهر في غيرها، بل إن الازدواجية اللغوية قد تظهر لأسباب عدة وفي سياقات مختلفة (فيرجسون، 2007: 13).

أولاً: نشأة الازدواجية بوصفها ظاهرة لغوية، هنا قولان: أحدهما: يرى الازدواجية جزءًا من الظاهرة اللغوية منذ بدايات اللغة، حيث يعتقد (فيرجسون) بأنها صراع بين تنوعين لغويين للسان واحد، أو ما يعرف بالفصحى والعامية وهو ما استلزم، فيما بعد، وجود مظهرين لغويين، الأول هو الكتابة، أو الرسم أو الصورة، والآخر هو التلفظ أو الصوت، أو المشافهة. ومن الأمثلة على المظهر الأول: هو الكتابة مثل كلمة (رجل) حيث تجمع في لهجة أهل الخليج العربي على (رجاجيل) بدل رجال، والمظهر الثاني: هو لغة المشافهة، كقولنا: (راسي) بدلا من (رأسي) و(أبدَ) بدلا من (إبداً)، حيث تم ابدال الهمزة نونا؛ كون الهمزة أشق الأصوات، حيث سميت تسهيل الهمزة أو الهمزة المخففة كما يشير إلى ذلك ابن منظور، أو هي تشكل لغة المحادثات، وتشيع في الأمكنة العامة، ولم تكن مكتوبة، ومثال ذلك عندما تقول: (سكّر الكتاب): أي (أغلق الكتاب)، أو تغير بعض الحروف في اللهجات العامية عند نطقها، مما يؤدي إلى اختلاف معناها، ومن أمثلة ذلك:

1. فونيم الثاء، ينطق (تاءً) في اللهجات الشامية و(سينًا) في اللهجة المصرية، ففي اللهجة الشامية يقولون: (تلات بنات) والصواب: (ثلاث بنات)، وفي اللهجة المصرية، يقولون: (سلاس بنات) والصواب: (ثلاث بنات).
2. فونيم الجيم
   أ- يلفظ (ياءً) في اللهجة الكويتية، فيقولون "يامعة" والصواب "جامعة"
   ب- يلفظ (قافا مرققةً) في اللهجة المصرية كما في قولهم: (قيش) عن كلمة: (جيش).
   ج- يلفظ جيماً معطشة في اللهجة الشامية (جامعة).
3. فونيم الذال، يلفظ (دالاً) في اللهجة الشامية فيقولون: (هدا) بدلا من (هذا). ويلفظ (زايًا) في اللهجة المصرية فيقولون: (هزا): بمعنى (هذا).
4. فونيم الضاد، يلفظ ظاءً في لهجة الشام والخليج فيقولون: (جدول الظرب) والصواب: (جدول الضرب). (القفعان، والفاعوري، 2012).

وتعد اللغة العربية من أكثر اللغات التي تظهر فيها الازدواجية اللغوية ضمن هذين التنوعين، فتبدو في شكلين مختلفين، الأول هو لغة أدبية مكتوبة، أو لغة قياسية أو كلاسيكية، وتكاد تكون اللغة المكتوبة هي الوحيدة في الماضي، وهي حاليا، لغة الأعمال الأدبية والعلمية والمقالات الإعلامية، والوثائق القانونية، لكنها لغة غير متداولة في إطار لغة الحديث أو الخطاب اليومي، إلا في نطاق ضيق. والشكل الثاني هو لغة شفهية، وهي التي تشكل لغة المحادثات، وتستعمل في كل الأمكنة العامة تقريبا، ولكنها ليست مكتوبة، أمّا ثاني الآراء حول نشأة الازدواجية بوصفها ظاهرة لغوية، فهو يراها تطورًا لغويًا اقتضته ظروف خاصة (محمود، 2002: 224).

فإذا عدنا إلى عربيتنا الحديثة وجدناها تزخر بمئات الألفاظ الجديدة المولدة والمعربة، وقد أخذت طريقها إلى الاستعمال وصارت مخصصة مقيدة بنوع خاص في المعنى، غير أن اللغويين مع ذلك ما زالوا مترددين في عد هذا الجديد من الفصيح، وقد شملت قائمة الألفاظ الجديدة في العربية الحديثة كلمات أصلها أعجمي، وكلمات عربية تم نحتها لتؤدي معاني جديدة.

ويحصر السامرائي من الفئة الأولى كلمات (الإمبريالية والبرجوازية والديمقراطية والديماكوجية والكولونيالية)، ومن الفئة الثانية (الفوضوية والعميل/ عملاء والرجعية والرأسمالية والثورية والجمهورية والتقدمية والانتهازية والانهزامية والإنتاجية)، وهنالك نمط أسماه اللغويون في الإنجليزية (Calques) ويقصد به تعابير مترجمة إلى العربية بحرفيتها من الإنجليزية أو الفرنسية، ومن أمثلة ذلك: (يمثل الرأي العام، ويسهر على المصلحة العامة، وذر الرماد في العيون، وقتل الوقت، ويلعب دوره، وبدوره، وعلى قدم المساواة، وحجر عثرة، ولعب ورقته الأخيرة، ويلعب بالنار، ويصطاد في الماء العكر، وتوترت العلاقات، والضحكة الصفراء، وكرَّس حياته، والضرورة الملحة، ووضع النقاط على الحروف، والأوساط المطلعة، والدوائر العليا، ويسمح الرأي العام، ومؤتمر المائدة المستديرة، والأكثرية الساحقة، وأعمال الكاتب الكاملة، ويلقي ضوءاً على هذه المسألة، والمعطيات، والشخصية البارزة) (المغربي، 2007).

ويبنى على القول الأول أنّ مشكلة الفصحى والعامية ليست جديدة ولا طارئة، ولا أظن أنّ أحدًا يمكنه القول بذلك، إذ تعود جذور هذه المشكلة إلى النشأة الأولى للغة، فالعصر الجاهلي لم يكن بمنأى عن مثل هذه الازدواجية، وإن لم تكن بمثل ما هي عليه اليوم، حيث تظهر الاختلافات اللهجية التي كانت قائمة حينذاك وسائدة، فالعرب لم يكونوا ينطقون لهجة واحدة، وإنما لهجات عديدة، طالما كان الاختلاف بينهما ظاهرًا وشديدًا، حتى عهد قريب من تنزيل القرآن الكريم، الذي نزل بلسان عربي مبين (المصري وأبو حسن، 2014: 44- 45)، وقد فسّر ابن عباس وآخرون (بلسان عربي): بأنّه لسان قريش، الذي تشكل من جماع لغات العرب وجيدها (أبو عبيد، د.ت: 124). وقد

غدا بهذا الشكل والاختيار أفصح الألسنة وأعذبها وأعلاها، مسجلًا انتصار الفصحى بصفتها المستوى الأعلى للغة، وظهورها على سائر اللهجات الأخرى، التي تشكل المستوى الأدبي.

ومن جهة أخرى، تبدو الفصحى هي المستوى الأعلى للغة، ملازمة للعامية ومتوازنة معها، وقد تمكنت من التغلب على العاميات المتمثلة باللهجات العربية المتعددة، حيث شكلت خطاب الشعر قبل الإسلام، وخطاب القرآن بعد الإسلام، لكنها عادت مرة أخرى فتراجعت أمام زحف العاميات ومدها، جراء انحراف اللسان العربي، وما طرأ عليه من تغيير، أو ما أصابه من تطور بفعل الاختلاط والاختلاف والانفتاح، وهو يسلم إلى وجهة النظر الأخرى التي ترى الفصحى بتشظيها، وانحسارها سببًا وجيهًا؛ لتشكل لهجات راحت تنأى تدريجيًا عنها؛ لتتحول مع الزمن إلى ند يهدد الفصحى نفسها أو يبعثرها (المصري، وأبو حسن، 2014: 46)، محدثًا هذه الازدواجية اللغوية التي يراها ابن خلدون، وقد شاعت في زمنه تحولًا عن الفصحى لغة التنزيل، وفسادًا لما جُبل عليه من صفة راسخة أو ملكة أو طبع؛ بسبب مخالطتهم الأعاجم، إذ البعد عن اللسان إنما هو مخالطة العجم، ومن خالط العجم أكثر كانت لغته من ذلك اللسان الأصلي أبعد (ابن خلدون، 1957: 554- 560) وهذا ما قاله ابن منظور، وجعله سببًا في وضع معجمه – لسان العرب – كما يقول في مقدمته: وذلك لما رأيته قد غلب في هذا الأوان من اختلاف الألسنة والألوان، حتى قد أصبح اللحن في الكلام يعد لحنًا مردودًا، وصار النطق بالعربية من المعايب معدودًا، وتنافس الناس في تصانيف الترجمات في اللغة الأعجمية، وتفاصحوا في غير العربية، فجمعت هذا الكتاب في زمن أهله بغير لغته يفخرون، وصنعته كما صنع نوح الفلك وقومه منه يسخرون (ابن منظور، 1990).

فالاختلاط بالأعاجم من أسباب؛ ظهور الازدواجية وانتشارها، ويكشف سرًا من أسرار نشأتها وتطورها.

وترى الباحثة أن التأثر والتأثير اللغوي لدى اللغة العربية حدث بفعل الاتصال مع الأمم الأخرى، كالفرس والروم والأحباش والسودان وغيرهم، ولكن طبيعة الاتصال والتواصل التي كانت تقتصر على علية القوم، وعلى أطراف الحدود المفترضة، كان حائلا دون أن تكون الازدواجية ظاهرة ملحوظة آنذاك، ولكن المسألة وصلت حدود (الظاهرة) عندما ظهر الموالي بصورة جلية في العصر الأموي، مما أشعر أصحاب العلم والحكمة حينها بضرورة استباق الأحداث وتداركها للحيلولة دون اختلاط اللسان الأعجمي باللسان العربي، خاصة بعد ظهور اللحن الجلي على ألسنة الناس وهم يقرؤون القرآن، ولكن الأمر كان أقوى من أن ينهض رجل ليضع النقاط على الحروف، أو أن ينهض آخر ليؤسس علم النحو، فقد وصل الأمر مداه مع بداية الدولة العباسية وتمكن الموالي من السيطرة على كثير من مقاليد السياسة، وانخراط الكثيرين منهم في مجال التأليف، ومنه ما كان في التأليف اللغوي. ومنذ ذلك الوقت ومسألة الازدواجية في اللغة العربية تزداد وتتمدد، وكان انتشار الإسلام سببًا أولَ في اختلاط العرب بباقي الشعوب، وكلما امتد الوقت ازدادت الفجوة اتساعا بين الفصحى وعاميتها، بل وبين العاميات أنفسها، حتى غدا الإنسان العربي في المشرق لا يفقه ما يقوله العربي في المغرب.

وترى الباحثة أن تأثير الأمم الأخرى نتيجة الاختلاط لا يكون قويا في لدعم العامية وزيادة مساحتها فحسب، إنما يتوازى هذا الأمر أيضا مع تغلغل الثنائية اللغوية في العامية والفصحى معا، لنجد أنفسنا إزاء مشكلة تتداخل فيها الازدواجية بالثنائية، ويكون الأمر لغة فصحى واحدة تواجه لهجات عامية عدة، وفي الوقت نفسه تواجه هذه الفصحى نفسها لغات أجنبية عدة في آن واحد، وليس المثال ببعيد عنا حين تواجه اللغة العربية الفصحى هذه الأيام الغزو الإلكتروني الجارف، لنجد على مواقع التواصل الاجتماعي مثلا من يكتب الفصحى السليمة، ومن يكتب الفصحى خطأ، ومن يكتب العامية، ومن يكتب العامية وتشوبها الإنجليزية أو الفرنسية او الألمانية، ثم نجد من يكتب بلغة الرموز والشات، في غياب واضح لهوية الفصحى الحقيقية، وهذ ما يتكرر ويتجدد عبر المحطات الفضائية، وخاصة في ما بات يعرف بِـ (تلفاز الواقع).

المحور الخامس: مظاهر الازدواجية اللغوية وأسبابها:

هنالك نمطان لغويان عند الكثير من الجماعات اللغوية يستخدمها بعض المتحدثين، كل في ظروف مختلفة. وربما يكون أحد أفضل الأمثلة على تلك الحالة اللغوية هو وجود النمط الفصيح في مقابل اللهجات المحلية المستخدمة في لغات كثيرة؛ ففي سياق الحديث بين الأهل والأصدقاء من نفس اللهجة المحلية يستخدم المتحدثون لهجتهم المحلية تلك، أما في سياقات الحديث الرسمية، أو سياقات الحديث مع أبناء لهجات محلية أخرى، فإن النمط اللغوي الفصيح يصبح واجب الاستخدام. وهناك أمثلة مختلفة تماما على استخدام نمطين لغويين مختلفين في نفس الجماعة اللغوية الواحدة. ففي مدينة بغداد على سبيل المثال، يستخدم المسيحيون العرب نمطا عربيا مسيحيا فيما بينهم، أما في السياقات العامة، فيتكلم مسيحيو بغداد مع بعضهم نمطا عربه المسلمون، لذلك فإن عربية بغداد، أي عربية مسلمي بغداد تصبح النمط الواجب الاستخدام (فيرسجون، 2007: 11).

ومصطلح الازدواجية صراع بين تنوعين لغويين للسان واحد، أوجد ما يعرف بالفصحى والعامية، وأوجد مظهرين لغويين: الأول: هو الكتابة، أو الرسم أو الصورة، والآخر: هو التلفظ أو الصوت أو المشافهة، فقد أخذت الازدواجية شكلين لتداولهما: الرسم والكتابة للفصحى، والتلفظ والمشافهة للعامية (المصري، وأبو حسن، 2014: 46).

والعربية واحدة من أكثر اللغات التي تظهر فيها الازدواجية اللغوية ضمن هذين النوعين، فتبدو في شكلين مختلفين: الأول هو لغة أدبية مكتوبة، أو لغة قياسية أو كلاسيكية، وتكاد تكون اللغة المكتوبة هي الوحيدة في الماضي، وهي حاليًا لغة الأعمال الأدبية والعلمية والمقالات الإعلامية، والوثائق القانونية، لكنها لغة غير متداولة في إطار لغة الحديث أو الخطاب اليومي إلا في نطاق ضيق، والشكل الثاني هو لغة شفهية، وهي تشكل لغة المحادثات، وتستعمل في كل الأمكنة العامة تقريبًا، ولم تكن قط مكتوبة (المصري، وأبو حسن، 2014: 48). إذ لا يعقل أن العرب جميعًا على اختلاف قبائلهم ومشاربهم وتنوعاتهم السكانية واللسانية واللهجية، قد تكلموا جميعا لسانا مشتركا واحدًا، إذ المعروف أن هذا اللسان المشترك قد بدأ يتشكل قبل مئتي سنة من البعثة النبوية على أبعد تقدير، ولم يكن، بالرغم من رقيه وعلوه وروعة بيانه، سائغا أو ميسورًا لكل العرب، فهو خطاب الفصحاء والبلغاء منهم فقط، والشعراء على وجه الخصوص، ولم يكن هذا اللسان المشترك دافعا قويا لترك لهجاتهم المختلفة أو حجر ألسنتهم المتباينة، فما وصلنا من لهجاتهم، وهي كثيرة ومختلفة ومتنوعة، خير دليل على أنهم لم يصطنعوا هذا اللسان المشترك الذي شكل لغة الشعر لديهم، ولغة التنزيل لاحقًا.

ويرى (فرغسون) أن الازدواج اللغوي لا يظهر، أو ينشأ في مجتمع بعينه إلا بتوافر ثلاثة شروط: الشرط الأول: هو وجود تراث كبير من الأدب في نمط لغوي له علاقة بالجماعة اللغوية محل الدراسة، ويجسد هذا التراث المصادر الحضارية السماوية العقدية لهذا المجتمع. والشرط الثاني: أن يكون معدل الإلمام بالقراءة والكتابة في الجماعة اللغوية مقصورا على صفوة قليلة، أما الشرط الثالث: فهو وجود فترة زمنية كافية وتعد بالقرون على وقوع الشرطين، غير أن الجماعة اللغوية التي تظهر فيها الازدواجية اللغوية لا تعتقد أنها مشكلة كبيرة، وذلك إلى حين ظهور بعض الاتجاهات الاجتماعية ترغب في تكوين نمط لغوي تقعيدي ذي طابع "قومي"، يعبر عن استقلالية الجماعة اللغوية وسيادتها (فيرجسون، 2007: 7).

ويمكن القول إن الازدواج اللغوي في العربية قد ظهر مرات عديدة، عبر عصورها المختلفة، وعلى امتداد مراحل تطورها، إذ لا يعقل أن العرب جميعا على اختلاف قبائلهم ومشاربهم وتنوعاتهم السكانية واللسانية واللهجية، قد تكلموا جميعا لسانا مشتركا واحدا. وهذا اللسان المشترك قد بدأ يتشكل قبل مئتي سنة من البعثة النبوية على أبعد تقدير، ولم يكن، بالرغم من رقيه وعلوه وروعة بيانه، سائغا أو ميسورا لكل العرب، فهو خطاب الفصحاء والبلغاء منهم فقط، والشعراء على وجه الخصوص، ولم يكن هذا اللسان المشترك دافعا قويا، لترك لهجاتهم المختلفة أو هجر

ألسنتهم المتباينة، فما وصلنا من لهجاتهم، وهي كثيرة ومتنوعة، خير دليل على أنهم لم يصطنعوا هذا اللسان المشترك الذي شكل لغة الشعر لديهم، ولغة التنزيل لاحقا، إلا في المناسبات، وخاصة في موسم الحج، وعلى ألسنة شعرائهم وبلغائهم وأشرافهم. أما داخل القبيلة، فقد كانت الغلبة للسان القبيلة الذي لم يكن اللسان العربي الفصيح على الإطلاق. وهذا يعني أن العرب قبل البعثة النبوية قد عاشوا ازدواجا لغويا واضحا (محمود، 2002: 224)، ولكنه ليس بمثل هذا الانحراف الذي يشهده اللسان العربي المعاصر، فالازدواجية التي تعيشها –زمنيًّا- تشكل نمطًا جديدًا للازدواجية اللغوية، تختلف عن سابقاتها بطغيان العامية على الفصحى، فغدت الأكثر انتشارًا والأوسع تأثيرًا، والأبلغ استخدامًا، والأكثر تداولًا في مختلف المحافل والمناحي والمجالات إلى الحد الذي شكلت فيه خطرًا على الفصحى؛ مما يتطلب السعي لحماية الفصحى من هذا الخطر (المصري، وأبو حسن، 2014: 50). وهذه العامية الحديثة ترجع في جذورها إلى بدايات الفتوح الإسلامية (محمود، 2002: 69).

حين دخلت أمم كثيرة من غير العرب الإسلام، أو خضعت لسلطانه، اضطرت إلى اصطناع لغة وتداولها، فتركت بفعل هذا الاصطناع والتداول أثرًا انحرافيًا واضحًا في اللسان العربي الفصيح، شمل كل مستويات اللغة ومظاهرها، بدءًا بالتشكيل الصوتي والصيغ والتراكيب، وانتهاءً بمظاهر الخطاب والنص، وطرائق التعبير. ومن أهم مخالفات العامية للفصحى ما يلي:

أ- الإبدال، وذلك بحذف حرف ووضع حرف آخر مكانه، مثل: إبدال حرف الجيم زايا في اللهجة الليبية ككلمة (زوز): أي (زوج)، وتبدل السين شينا مثل كلمة: (شمس) فتصير (سمس). (ب) القلب، وذلك بتبديل مكاني بين أحد حروف الكلمة مثل: (جبذ) أي (جذب). (ج) النقصان وذلك بحذف أحد حروف الكلمة مثل: (مرا) أي (مرأة) أو (امرأة). (د) الزيادة، وذلك بزيادة حرف على بنية الكلمة مثل: (رجل) تصبح (راجل) عند الليبيين، و(بع): فعل أمر من البيع تصير (بيع). (هـ) النحت، ويكون بتركيب كلمة من أصل كلمتين، مثل: (أيش) أصلها (أي شيء). (و) تغيير الحركات الأصلية، مثل: (محمد) زيدت ألفا فصارت (امْحمد) (ينظر: العلوي، 2003: 25-26).

وكان هذا الانحراف قد تسلط بقوة على لغة الكلام والخطاب الشفوي، وتمكن من صرفها عن الفصحى وقواعدها، إلا أنه قد فشل فشلًا في تغيير لغة الكتابة أو استبدالها، بالرغم من كل المحاولات والدعوات التي كانت ترتفع منادية، ومطالبة بتغيير قواعد الكتابة والخط، واستبدال الحرف اللاتيني بالحرف العربي (محمود، 1956: 56). إن أول من دعا بشكل مدوٍّ وبصوت عالٍ إلى اعتماد الحرف اللاتيني في اللغة العربية، هو عضو مجمع اللغة العربية عبد العزيز فهمي (فقد قدم إلى مؤتمر المجمع في جلستي 24 و31 كانون الثاني- يناير، سنة 1944م ورقة عنوانها: اقتراح اتخاذ الحروف اللاتينية لرسم الكتابة العربية. وطبعت الورقة بالمطابع الأميرية في شباط- فبراير 1944م. ودعوة فهمي هذه لم تَخْلُ من مؤيدين، مثل: إبراهيم حمودي الملا في كتابه (طباعة اللغة العربية بالحروف اللاتينية) الصادر عام 1956م، وعثمان صبري في كتابه (نحو أبجدية جديدة) الصادر عام 1964 والذي يتحمس فيه للكتابة بالحرف اللاتيني، ومنهم الجنيدي خليفة: في كتابه (نحو عربية أفضل)، وفيه يرى بقاء الحرف العربي كما هو، مع التعبير عن الحركات بأرقام يُدرَج رقم منها في عقب كل حرف للدلالة على حركته، مثل أن يتم استبدال بعض الأحرف بأرقام، فحرف الحاء يرمز إليه الرقم 7 وحرف العين الرقم 3 والهمزة الرقم 2 (الجبوري، 2019).

فالكتابة في أيامنا هذه لا تكاد تختلف عن مثيلتها التراثية، أو عمّا كانت عليه أيام الإسلام الأولى، كما أن كل الدعوات التي نادت باستبدال العامية بالفصحى، ومثال ذلك المستعربون الذين من أبرزهم لطفي السيد الذي كتب عام 1913 عدة مقالات في الجريدة، يدعو فيها إلى استعمال الألفاظ العامية وإدخالها حرم الفصحى، وكذلك قاسم أمين الذي أعلن عام 1912 تصريحه عن الإعراب وتسكين أواخر الكلمات، ودعوة أنيس فريحة والخوري مارون إلى

استعمال اللهجة العامية مكتوبة بالحروف اللاتينية، وأصدر كتابا في هذا المجال بعنوان: (نحو عربية ميسرة) عام 1955 (الجندي، 1982: 188)، قد خَبَتْ وتراجعت، وظلت العربية الفصحى هي اللغة التي يصطنعها الأدباء، والكتاب والشعراء والعلماء، وطلاب العلم في شتى أجناس المعارف والعلوم؛ لكونها لغة الشعر القديم جاهلية وإسلامية، ولغة التراث، وفوق ذلك كله لغة القرآن (المصري، وأبو حسن، 2014: 49).

لقد قامت دعوات إحلال العامية مكان الفصحى واعتماد الحروف اللاتينية مكان الحروف العربية؛ بحجة صعوبة الإعراب، وصعوبة الحروف العربية وتعدد أشكالها، ومن أجل التخفيف على أبناء اللغة، ومتعلميها من غير أبنائها، ووجدت هذه الدعوات من يؤيدها من أبناء العربية، ولكنها وجدت كذلك من يقف بوجهها، من كتاب وشعراء ورجال دين.

المحور السادس- مشكلة الازدواجية:

نتيجة للازدواجية اللغوية فمن المتوقع أن تزاحم العامية الفصحى، وربما تحاول تغييب الهوية اللغوية شيئا فشيئا، وتكاد خطورة الازدواجية تعصف بالفصحى كونه يشكل انحرافًا عنها، وانحيازًا إلى العامية انحيازًا تتزايد وتيرته مع الزمن، حتى تصبح العامية هي المتغلبة (المصري، وأبو حسن، 2014: 52- 53).

وبالنظر إلى واقع اللغة العربية، أو الواقع التداولي للعربية في العالم العربي، فإنه يمكن توصيفها على النحو الآتي:

1- العربية الفصحى (الكلاسيكية): وهي عربية القرآن الكريم والشعر القديم، وهي التي تحتل أعلى مراتب التعبير العربي، حيث تنطوي فيها الشروط والصفات المثالية للفصاحة والبلاغة على صعيد المسبوكات التركيبية، أو المفردات الكلمية، أو التوافقات السياقية، ومن أمثلة هذه اللغة ما هو ماكث بين جلدتي المصحف الشريف، وفي أشعار الجاهليين ونثرهم، فضلا عن مكتوبات فصحاء كتاب العربية كالجاحظ، وأبي حيان التوحيدي، والرافعي، حيث السلامة البالغة النائية عن اللحن والتحريف.

2- العربية العامية (الدارجة والمحكية): وهي تنوعات لهجية عديدة، وأنماط لسانية متباينة. وفي هذا المستوى تمازج فيه الخطأ مع الصواب، وتواشج القويم مع السقيم، فنشأ من ذلك المزيج كيان لغوي هجين، تبناه أكثر الناس؛ لسهولة مأتاه، وتيسر تعاطيه، وتحرر قوانينه، وميوعة معاييره.

3- العربية الوسطى (بين الفصحى والعامية): وهي المتداولة في أوساط النخب والمثقفين والمتعلمين. وهي المستوى الذي تتحقق فيه شروط سلامة اللغة في حدودها الدنيا من غير ملامسة حدود اللحن اللغوي والتحريف الدلالي. ويمثل هذا المستوى من اللغة في أكثر مكتوبات التراث العربي القديم وفي كثير من الكتابات المعاصرة، ككتابات زكي مبارك، وعباس العقاد، ومحسن الأمين.

4- العربية المعاصرة الأقرب إلى الفصحى، أو الفصحى غير المشكولة والمتداولة في الوسط الثقافي والإعلامي عبر وسائل الإعلام المختلفة. وهي المتشكلة في الكلام العربي الذي يمتزج فيه صحيح الكلام مع سقيمه، ويختلط فيه قويم التعابير وتراكيبها مع ما استمرأ عوام المثقفين استعماله من كلمات وتعابير وتراكيب عائلة عن سنن العربية، أو حائدة عن أصولها، ومائلة عن تقاليدها، وخارقة لقواعدها سواء الأصلية أو المتولدة من تطويرات صائبة (مصار الدين، 2009: 12).

وتتعدد وجوه المشكلة وتتنوع بما تتركه من تداعيات سلبية، وخطيرة، وآثار سيئة ومدمرة في مختلف المجالات، وعلى جميع المستويات الفردية والجماعية والمجتمعية، فخطر الازدواج اللغوي لا يقتصر على اللغة وحدها، بل يتجاوز إلى مناحي الحياة الثقافية، والفكرية، والاجتماعية، والاقتصادية، والتعليمية، والسياسية، والقومية،

والتراثية؛ لكون اللغة تشكل المهاد النفسي، والمشاعري، والثقافي، والفكري، للناطقين بها، والفصحى تحديدًا: هي لغة الدين والعلم، وهي الامتداد الحضاري والفكري والثقافي (مصار الدين، 2009: 55).

وإحلال العامية محلها سيعمل على تفتيت الوحدة، وتمزيق الروابط، وسيجعل من الأمة أممًا شتى، وإقصاء الفصحى يشكل نذيرًا بانهيار كل منجزات الأمة.

المحور السابع- الحلول المفترضة لمشكلة الازدواجية اللغوية:

إن البحث عن حلول لهذه المشكلة ليس بالأمر السهل، ولكنه ليس بالأمر المستحيل في الوقت نفسه، وفي حال تطبيق بعض الحلول، فإننا لن نصل إلى الحالة المرجو أن نصل إليها، ولعل أهم سبب هو أن طبيعة اللغات، اللغات جميعها، تميل إلى التغير والانحراف مع تقدم الزمن، وتغير الظروف الاجتماعية، ولكن هذا لا يمنع من البحث عن حل وسط، أو لغة وسطى، وهذا لا يتأتى بين عشية وضحاها، ولكن يمكن البدء به بعد وضع خطة تتضافر فيها الجهات المعنية، وفي هذا السياق تطرح الباحثة بعض الاقتراحات وهي:

- طرح حقيقة الازدواجية في المناهج المدرسية والجامعية؛ بحيث يدرك أبناء العربية حقيقة المشكلة في سن مبكرة، وبموازاة هذا توضع النصوص الأدبية التي تعزز ثقة الطالب بلغته، ويدرك من خلالها جمال اللغة وسحر بيانها، فالدارج أن توضع نصوص تشير إلى جمال العربية، ولكن النصوص الجميلة نفسها، تكاد تكون مفقودة، ومن هنا نجد أن الطلبة يودعون المرحلة المدرسية، إلى المرحلة الجامعية، وأغلبهم لا يحفظ عشرين بيتا من الشعر، إضافة إلى ضعفه الشديد في الإعراب، وفي القراءة والكتابة، ومن هنا سيكون من السهل أن ينجرَّ وراء الكتابة بالعامية، ومن هنا يجب أن يتم اختيار القائمين على المناهج وفق معايير معرفية عالية، ووفق معايير ذوقية جمالية أيضا، بحيث تكون لديهم القدرة على استنطاق اللغة الجميلة، والبحث عنها في كنوز التراث، حتى يستقيم لسان الأجيال بها حين يتذوقون حلاوة نطقها، وعمق معانيها، وحتى يلامس السهل الممتنع رقة الوجدان، وآنذاك سيذهب الطالب إلى لغته، وسيكمل البحث بنفسه عندما تُفتح له مغاليقها، ويستشعر رونقها وبريقها؛ ليخرج من رهبة الإعراب، وقلق الامتحان، إلى مادة يشعر بوجودها الحقيقي، بدلا من أن يسمع عنها، وكأنها أمر مفروض عليه.
- تضافر القرار السياسي مع الرأي العلمي، وأقدم هنا السياسة على العلم واللغة؛ لأنها هي صاحبة القرار، والقادرة على فرض قوانين تعزز من قوة اللغة في حياة أبنائها، فالقرار من المسؤول السياسي هو الذي يفرض تعريب التعليم، وهو الذي يمنع التجار من اتخاذ الأسماء الأجنبية عناوين لمحالِّهم، والقرار السياسي هو الذي يطلق أسماء العلماء والشعراء على الشوارع والصروح والميادين.
- ضرورة إعادة دور مجمع اللغة العربية، للتعامل على الأقل مع ما يصل إلينا من ألفاظ الحضارة بشكل يومي، أو شبه يومي، ولا يجد من يعرّبه أو يبحث له عن بديل ذي جذر عربي.

الخاتمة:

بعد التحليل والمناقشة للازدواجية وأثرها على اللغة العربية، توصلت الباحثة إلى النتائج الآتية:

- الازدواجية ظاهرة لغوية قديمة حديثة، يبقى البحث فيها قائما، وقابلا للحوار والمناقشة، وطرح الحلول التي تتماشى وطبيعة كل لغة، وكذلك طبيعة القوم الناطقين بها.
- الازدواجية إشكالية لا تخص اللغة العربية وحدها، تبدأ بإشكالية المصطلح والتعريف، حيث تنازعها مصطلح (الثنائية)، ثم هي إشكالية قديمة حديثة، عاين الدارسون والباحثون أشكالها ومظاهرها، وحددوا أسبابا لها،

منها ما كان داخليا تقتضيه طبيعة اللغة نفسه، وهذا ما يحدث في اللغات جميعها، ومنها ما هو خارجي، وهذا ما حدث مع اللغة العربية بالهجمة الاستشراقية والاستعمارية التي هاجمتها قبل ما يزيد عن قرن من الزمان.

المصادر والمراجع:

أولا: المراجع بالعربية:

- ابن جني. (1957). الخصائص. دار الكتاب العربي عن دار الكتب المصرية.
- ابن خلدون. (1986). مقدمة ابن خلدون. ط6. دار القلم. بيروت. 1986.
- ابن سلام، أبو عبيد القاسم بن سلام. (د. ت). ما ورد في القرآن من لغات القبائل. مطبوع بهامش تفسير الجلالين. مطبعة عيسى الحلبي.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم المتوفى سنة (711 هـ). (1990). لسان العرب. دار الفكر/ دار صادر. بيروت. لبنان.
- الأفغاني، سعيد. (1969). نظرات في اللغة عند ابن حزم. ط2. دار الفكر.
- بالعيد، صالح. (2003). دروس في اللسانيات التطبيقية. ط 3. دار هومة. الجزائر.
- تشومسكي، نعوم. (1998). فكره اللغوي وآراء النقاد فيه. ترجمة: د. صبري إبراهيم السيد. دار المعرفة الجامعية. الإسكندرية.
- التونجي، محمد، وراجي الأسمر. (2001). المعجم المفصل في علوم اللغة (الألسنيات). دار الكتب العالمية. بيروت.
- الجبوري، معد. (2019). "دعاة استبدال الحرف العربي باللاتيني نظرة سريعة موجزة". صحيفة المثقف: العدد 4650.
- الجندي، أنور. (1982). الفصحى لغة القرآن. د.ط. دار الكتاب البناني. بيروت.
- الخولي، محمد علي. (2000). الحياة مع لغتين، الثنائية اللغوية. دار الفلاح للنشر والتوزيع. الأردن.
- دي سوسير، فرديناند. (2001). تأصيل علم اللغة الحديث وعلم العلامات. ترجمة: محمد حمدي عبد الغني. المجلس الأعلى للثقافة. القاهرة.
- رونيز. (1997). موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، ترجمة: أحمد عوض. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. الكويت.
- الزغول، محمد راجي الزغول. (1985). "ازدواجية اللغة وطبيعتها ومشكلاتها في سياق التعليم"، قسم اللغة الإنجليزية وآدابها (جامعة اليرموك، إربد): العدد 152.
- الزغول، محمد راجي. (1980). "ازدواجية اللغة نظرة في حاضر اللغة العربية، وتطلع نحو مستقبلها"، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني: العددان، 9- 10.
- زكريا، ميشال. (1995). دراسات لغوية اجتماعية مع مقارنة تراثية. ط1. دار العلم للملايين. لبنان.
- ستيتية، سمير. (1987). ندوة الازدواجية في اللغة العربية. ط1. مجمع اللغة العربية الأردني. الجامعة الأردنية.
- سعيد، نفوسة زكريا. (1964). تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر. ط1. دار نشر الثقافة. الإسكندرية.
- العقود، عبد الرحمن محمد. (1997). الازدواج اللغوي في اللغة العربية. ط1. كتب الملك فهد الوطنية أثناء النشر. الرياض.
- العلوي، هادي. (2003). المعجم العربي الجديد: المقدمة. ط2. دار المدى. دمشق.

- الغلالي، إبراهيم صالح. (1998). ازدواجية اللغة بين النظرية والتطبيق. ط1. الرياض.
- فيرجسون، تشالرز. (2007). الازدواجية اللغوية في: قضايا في الازدواجية اللغوية العربية. تحرير جردا منصور ومديحة دوس. ترجمة: محمد الشرقاوي. مركز البحوث العربية والإفريقية.
- قادري: ديق. (2001). "أثر الازدواجية اللغوية على النشاطات المعرفية في المرحلة الابتدائية"، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بجاية، الجزائر.
- القاموس عربي- فرنسي. (2004). مكتب الدراسات والبحوث. دار الكتب العلمية. بيروت.
- القفعان، توفيق والفاعوري، عوني. (2012). "تأثير الازدواجية اللغوية (الفصيح والعامي) في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها". مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية: مجلد 39(1).
- محمود، إبراهيم كايد. (2002). "العربية الفصحى بين الازدواجية اللغوية والثنائية"، المجلة العلمية (جامعة الملك فيصل): المجلد الثالث، العدد الأول.
- محمود، تيمور. (1956). مشكلات اللغة العربية. مكتبة الآداب ومطبعتها. القاهرة.
- مراد، وليد محمد. (1986). المسار الجديد في علم اللغة العام. مطبعة الكواكب. دمشق.
- المصري، عباس، وأبو حسن، عماد. (2014). "الازدواجية اللغوية في اللغة العربية". الجامعة العربية الأمريكية. جنين: العدد 8.
- المغربي، عزيز. (2007). "ازدواجية اللغة: طبيعتها ومشكلاتها في سياق التعليم"، Online: www.startimes.com/
- الموسى، نهاد. (1988). الازدواجية العربية. مطبعة الجامعة الأردنية. عمان.
- نصار الدين. (2019). "العربية العامية في العصر الحديث". جامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية. مالانج.

ثانيا- المراجع بالإنجليزية:

- Lubliner, Shira and Grisham, Dana. (2004). "Translanguaging: The Key to Comprehension for Spanish-Speaking Students and Their Peers". Rowman & Littlefield. Lanham.